

الصحابة



جعفر بن أبي طالب

الطيّار أبو المساكين

بقلم

لينا كيلانى



دارالمعارف

تصميم الغلاف: شريفة أبو سيف

رسوم داخلية: منال بدران

تنفيذ المتن والغلاف

بالمركز الإلكتروني

دار المعارف

رقم الإيداع	٢٠٠٥/٣٠٠٨
الترقيم الدولي	ISBN 977-02-6766-X

٧/٢٠٠٤/٩١

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع
هاتف : ٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس : ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

لم يكَد يذيعُ صيتُ الإسلامِ وينتشرُ، حتى ذاعَ صيتُ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ، وانتشرَ عطرُ سيرتهِ بينَ المسلمينِ الأوائلِ، وفي قريشٍ وأهلِ مَكَّةِ .

ولأَ عَجَبٍ في ذلكَ، فأبو طالبٍ هو الذي ساندَ الرسولَ ﷺ ودَعَمَهُ ضدَّ المشركينَ، وبسطَ عليه حِمَايته بعدَ وفاةِ جدِّه عبدِ المطلبِ رغمَ أنَّ أبا طالبٍ لم يُسَلِّمِ في تلكَ الفترةِ، وظلَّ الوسيطَ بينَ قريشٍ وبينَ ابنِ أخيه ﷺ بنِ عبدِ الله، حتَّى أنه بعدَ تهديداتِ قريشٍ وضُغوطها قال لابنِ أخيه: إنَّ قريشًا مُستعدةٌ لأنْ تهبهُ المالُ والسيادةُ فيما لو تراجعَ عن دَعْوَتِهِ، ولَمَّا أَجابه الرسولُ ﷺ قائلاً: «يَا عمي واللهِ لو وَضَعُوا الشمسَ في يميني، والقمرَ في يساري على أنْ أرجعَ عن هذا الأمرِ مَا رَجَعْتُ عَنْهُ أَبَدًا». فدَمَعَت عينا أبي طالبٍ.

وَمَا كَانَ لِهَذَا الرَّجُلِ الْعَظِيمِ أَنْ يَمْنَعَ أَبْنَاءَهُ الصَّغَارَ مِنْ أَنْ يَلْتَحِقُوا بِالْإِسْلَامِ وَعَلَى رَأْسِهِمْ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي تَالِبٍ وَهُوَ فِي الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ، وَمِنْ ثَمَّ جَعْفَرٌ وَغَيْرُهُمَا.

إِذْ فَجَعْفَرٌ قَدْ تَشَرَّبَ مَبَادِيَّ الْإِسْلَامِ مِنْذُ بُرُوعِ الدَّعْوَةِ، وَعَاشَ فِي ظِلِّ النَّبِيِّ فِي أَوْقَاتِ الشَّدَّةِ، وَتَنَسَّمَ عَطْرَ الْإِيمَانِ وَهُوَ لَا يَزَالُ صَغِيرًا فَتَغْلَغَلَ الْإِسْلَامُ فِي شَرَايِينِهِ، وَكَلَّمَا كَانَتْ

الدعوة تحقق انتصاراتها وتكبر، كان جعفر يكبر معها.. يكبر في العمر، كما يكبر بالاحساس بعظمة الإسلام وتعاليمه، في رفع الظلم عن الفقراء والمستضعفين والعبيد لاسيما وأن والده أبا طالب - رغم مكانته كسيد لقريش، ويقوم بخدمة الكعبة المشرفة، كان من فقراء آل عبد المطلب، حتى أنه لما ضم إليه ابن أخيه ليكفله، شعر محمد ﷺ بأنه أصبح عبثا على هذا العم فآثر أن يعمل - ولو برعى الأغنام ليعول نفسه.

من ذلك البيت الكريم الذي يفيض بالقيم النبيلة العالية، خرج جعفر وقد نشأ على مكارم الأخلاق، تلك الأخلاق السامية التي كان يتصف بها أبو طالب، والتي كان يتفوق عليها محمد، ويتمثلها على، ذلك الأخ الأكبر لجعفر الذي ضرب أروع الأمثال في التضحية والفداء والإيمان؛ عندما ألقى بنفسه في فراش رسول الله ﷺ ليضلل المشركين فيظنوا أنه محمد وينشغلوا به، بينما كان ﷺ يأخذ طريقه مع صاحبه أبي بكر الصديق نحو غار ثور هربا من ظلم المشركين وتربصهم برسالته.

كان جعفر الصغير يسمع عن تلك الأحداث العظيمة من بدء تاريخ الدعوة، ويسمع عن مواقف أبيه وأخيه المؤيدة لها

فَيَتَأَثَرُ بِهَا بِأَلْغِ الْأَثَرِ.. أَمَّا ❀ فَهُوَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي لَا مِثْلَ لَهُ فِي رَفْعَةِ الْأَخْلَاقِ، وَنُبْلِ الْقِيَمِ فَكَيْفَ لَا يَكُونُ مِثْلًا أَعْلَى لَجَعْفَرٍ؟ وَفَوْقَ كُلِّ ذَلِكَ فَهُوَ رَسُولٌ وَنَبِيُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ يَحْمِلُ رِسَالَةَ الْإِسْلَامِ، دِينَ الْعَدَالَةِ وَالْحَقِّ.

وَتَشَعُّ عَيْنًا جَعْفَرٍ بِبَرِيقِ غَيْرِ عَادِي كَلِمًا سَمِعَ عَنْ ❀ فَيَتَمَثَّلُهُ أَمَامَهُ، وَيَسْتَذَكُرُ خِصَالَهُ وَمَوَاقِفَهُ وَمَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ مِنْ لِقَبِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ؛ فَيَقْشَعِرُ جَسْمُهُ مِنْ ذَلِكَ اللَّقْبِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَمْ يَفْزُ بِهِ أَحَدٌ كَمَا فَازَ بِهِ ❀ فَمَا تَفُوقَ عَلَيْهِ أَيُّ امْرِئٍ مَهْمَا بَلَغَ مِنْ رَفْعَةِ الْخُلُقِ.. وَيَتَمَنَّى جَعْفَرُ فِي قَرَارَةِ نَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ شَبِيهَا بِمُحَمَّدٍ ❀ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ قَرِيبَةً وَنَسَبِيَّةً، خَاصَّةً وَأَنَّهُ يُشَبِّهُهُ فِي الشَّكْلِ وَالْمَلَامِحِ، بَلْ هُوَ الْأَقْرَبُ إِلَيْهِ وَالْأَكْثَرُ شَبِيهَا بِهِ.. فَلِمَاذَا لَا يَقْتَدِي بِصِفَاتِهِ أَيْضًا، لِيَصْبِحَ الْأَشْبَهُ بِهِ خَلْقًا وَخُلُقًا؟.. وَإِذَا كَانَ أَيُّ أَحَدٍ يَسْمَعُ بِمُحَمَّدٍ ❀ وَيَأْتِي - مَهْمَا بَعُدَتِ الْمَسَافَةُ - لِيَسْتَمَعَ إِلَى دَعْوَتِهِ فَيَصْبِحُ مُؤْمِنًا، فَكَيْفَ وَجَعْفَرُ يَخْتَزِنُ فِي ذَاكِرَتِهِ كُلَّ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ بِمُحَمَّدٍ ❀ وَهُوَ ابْنُ عَمِّهِ الَّذِي رَعَاهُ أَبُوهُ أَبُو طَالِبٍ وَأَصْبَحَتْ مَآثِرُهُ وَأَفْضَالُهُ مِنْ رِوَايَةِ آلِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَآلِ هَاشِمِ بَلْ وَقَرِيشِ كَلِّهَا؟

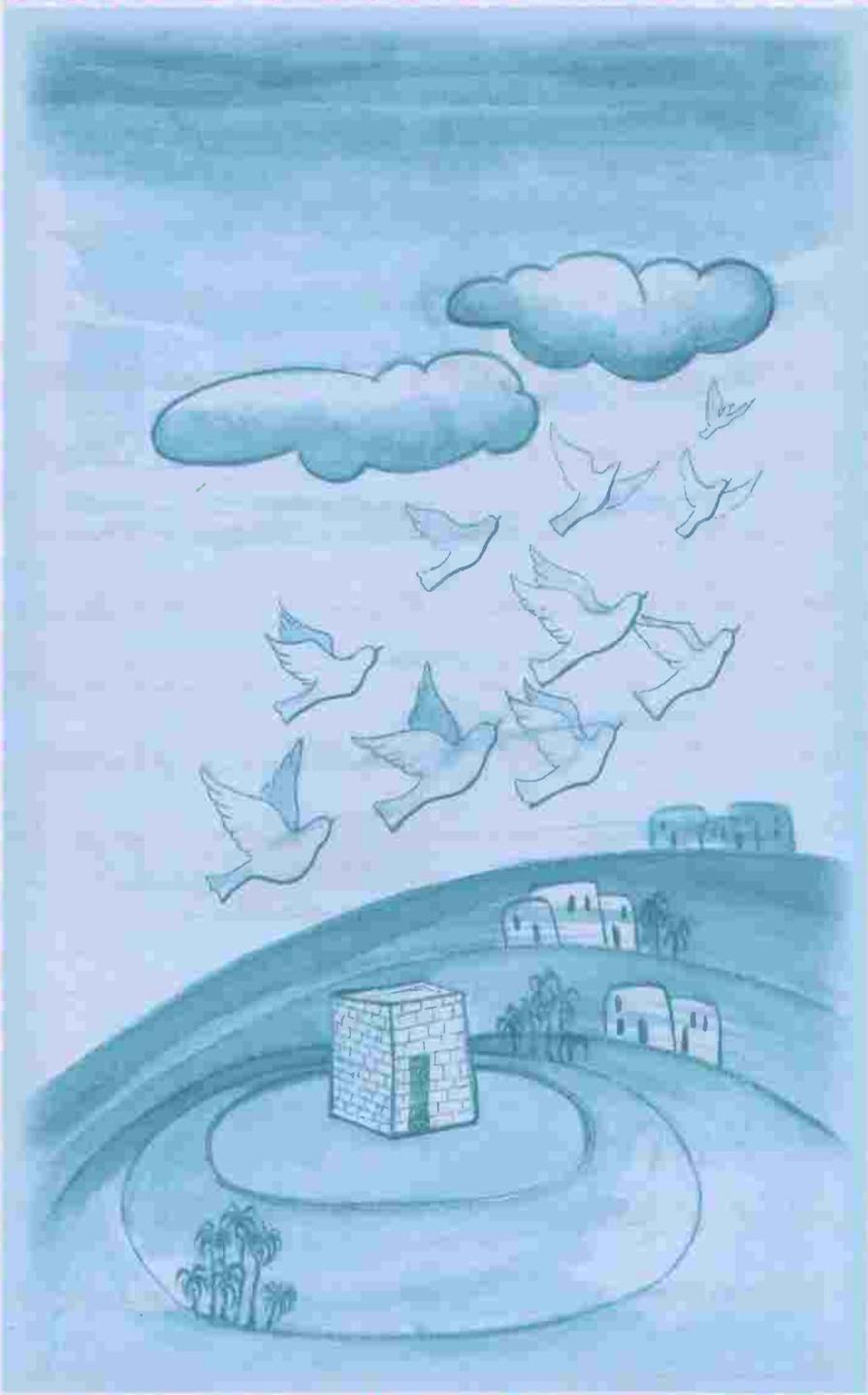
وَفِعْلًا بَرَزَ جَعْفَرُ مِنْ بَيْنِ صَحْبِهِ نَقِيًّا مَشْعًا، كَجَوْهَرَةٍ تُزِينُهُ

أَخْلَاقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي تَمَثَّلَهَا، حَتَّى أَخَذَتْ تَتَّبِعُ مِنْهُ أُصِيلَةَ صَادِقَةً فِي الْكُرْمِ وَالْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ وَالتَّوَاضُّعِ وَالْجُودِ. فَكَانَ كَرِيمَ النَّفْسِ كَرِيمَ الْيَدِ يَسَاعِدُ الْمَسَاكِينَ وَالضُّعْفَاءَ، وَيَحْنُو عَلَيْهِمْ وَيُرْعَاهُمْ، فَلَا يَبْخُلُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ بِوَقْتِهِ أَوْ جُهْدِهِ أَوْ مَالِهِ مَهْمَا كَانَ فِي عُسْرٍ.. وَأَخَذَ يَكْثُرُ مِنَ الْعَطَاءِ حَتَّى لَقِبَهُ الرَّسُولُ ﷺ فِيمَا بَعْدَ بَابِي الْمَسَاكِينَ.. فَأَيْنَمَا وُجِدَ مَسْكِينٌ كَانَ هُنَاكَ جَعْفَرٌ يَبْسُطُ ذِرَاعَيْهِ بِالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ .

وَلَمْ يَسْتَفْرِقْ بَحْثُهُ عَنِ الْحَقِّ وَقْتًا طَوِيلًا، بَلْ كَانَ مِنْ أَوَائِلِ مَنْ أَقْبَلُوا عَلَى الرَّسُولِ ﷺ مُؤْمِنِينَ طَائِعِينَ.. فَجَلَسَ مَعَ زَوْجَتِهِ الصَّالِحَةِ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، خَاشِعِينَ مُطْمَئِنِّينَ وَهَمَّا يَنْطِقَانِ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ.

كَانَ جَعْفَرٌ يَعْرِفُ وَيَدْرِكُ جَيِّدًا، خُطُورَةَ مَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ إِسْلَامِهِ مَعَ زَوْجَتِهِ فِي بَيْتِهِ مَا تَزَالُ تُصِرُّ عَلَى الْكُفْرِ وَالشِّرْكِ، وَتُحَارِبُ كُلَّ مَنْ يَنْطِقُ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَلَكِنْ صَدَقَ إِيمَانُهُ كَانَ كَفِيلًا بِمُوَاجَهَةِ الْمُشْرِكِينَ بِكُلِّ شَجَاعَةٍ وَإِقْدَامٍ .

وَعَانَى جَعْفَرٌ مَعَ زَوْجَتِهِ « أَسْمَاءَ » مِنْ، ظُلْمِ الْمُشْرِكِينَ وَبَطْشِهِمْ، وَتَعَرُّضًا لِلأَذَى، وَلَكِنَّهُمَا صَبْرًا وَظَلًّا عَلَى دِينِهِمَا بَلْ إِنَّ مَا نَالَهُمَا كَانَ سَبَبًا فِي تَعْمِيقِ إِيمَانِهِمَا وَإِصْرَارِهِمَا عَلَى التَّمَسُّكِ بِدِينِ اللَّهِ، بَلْ وَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فِي الدِّفَاعِ عَنْهُ وَالدَّعْوَةِ لَهُ، حَتَّى كَانَ أَمْرُ الرَّسُولِ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْحَبْشَةِ فَهَاجَرَا مَعَ مَنْ هَاجَرَ.



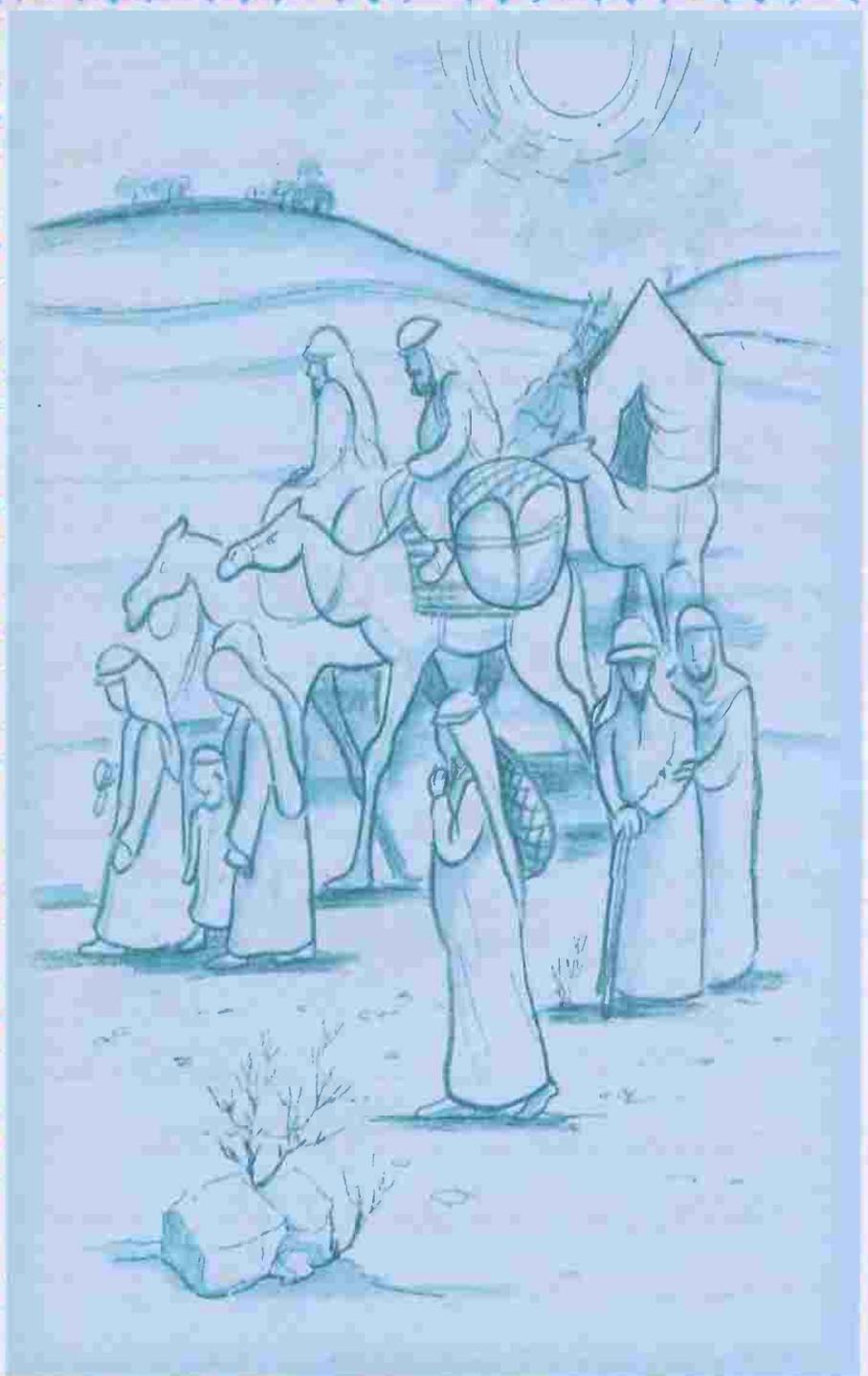
لم تكن أرض الحبشة أكثر من ملجأ وملأذ لهؤلاء المسلمين
 الذين قدموا إليها حفاظاً على دينهم وأرواحهم من بطش
 قريش.. لقد نال المسلمين في مكة كثير من الظلم على
 أيدي المناوئين لمحمد الرافضين لدعوته، والمصريين على
 عبادة الأوثان والآلهة، ولم يكن أمام الرسول ﷺ من حل لتلك
 الأزمة إلا أن يأمر أتباعه بأن يفارقوا مكة ويتوجهوا إلى بلاد
 الحبشة، حيث هناك ملك عادل يؤمن بالله ويدين بالمسيحية،
 ولم تكن الحبشة بلاداً مجهولة بالنسبة للعرب ولقريش خاصة
 التي توسعت تجارتها من اليمن حتى الحبشة. وما أكثر ما
 كانت القوافل تأتي بالأخبار عن أولئك القوم الذين فتحوا
 قلوبهم لديانات السماء، كالنصرانية ومن قبلها اليهودية،
 ونبذوا عبادة الحجر والوثن، ولعل بعض العرب الذين
 استوطنوا في اليمن، لم يكونوا ليلاقوا عناء في الوصول إلى
 الحبشة، ويمكن أيضاً أن يكونوا جسوراً لهؤلاء القادمين من
 قلب الجزيرة ومن مكة الشهيرة آنذاك. بأنها المركز الوثني
 الأول كما هي مركز التجارة الأول. وهكذا فإن النفوذ السياسي
 والنفوذ المالي يستتبع عادة قوة وبطشاً بمن يقف في مواجهته،
 وهذا يشكل مبرراً كبيراً - للهجرة أولاً وقبلواً حسناً عند

مَنْ يَدَجُّونَ إِلَيْهِمْ ثَانِيًا.

وَلَنَا أَنْ نَتَّصِرَ تِلْكَ الرَّحْلَةَ الشَّاقَّةَ بَيْنَ الصَّحَارِيِّ وَكُتْبَانَ
الرَّمَالِ وَشِعَابِ الْجِبَالِ ، وَمَا فِي كُلِّ ذَلِكَ مِنْ أَهْوَالٍ وَمَخَاطِرَ ،
يَتَحْمَلُهَا حِفْظًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ فِي إِيْمَانِهِمْ ، الصَّابِرِينَ
عَلَى الشَّدَائِدِ - لَيْسَ وَضُورًا إِلَى هَدَفٍ - بَلْ هُرُوبًا مِنْ بَطْشِ
وَطْغْيَانٍ .. لَيْسَ لَهُمْ مَعِينٌ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَلَيْسَ لَدَيْهِمْ
أَمَانٌ إِلَّا مَا يُعِينُهُمْ عَلَيْهِ جَلْدُهُمْ وَصَبْرُهُمْ وَتَعَاطُفُهُمْ ، وَأَنْ يُعِينَ
أَحَدُهُمُ الْآخَرَ خَاصَّةً وَأَنَّ هَذَا مِنْ أَهْدَافِ الْهَجْرَةِ . وَكَانَ مِنْ
الْمُهَاجِرَاتِ عَدَدٌ مِنَ النِّسَاءِ الْمُؤْمِنَاتِ الْمُسْلِمَاتِ اللَّائِي آثَرْنَ
أَنْ يُخَفَّفْنَ عَنِ الْأَزْوَاجِ مَحْنَةَ السَّفَرِ ، إِضَافَةً إِلَى الْفِرَارِ بِدِينَهُنَّ
مَنْ ظَلَمَ قَرِيشٍ لِلنِّسَاءِ أَكْثَرَ مِنَ الرِّجَالِ .

فِي تِلْكَ الْأَرْضِ الْبَعِيدَةِ ، عَاشَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَقَلْبَهُ
مَا يَزَالُ مُعَلَّقًا حَيْثُ الرَّسُولُ ﷺ فِي مَكَّةَ . فَكَيْفَ تَحْرَمُهُ الْأَيَّامُ
مِنْ رَفَقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا تَرَاهُ عَيْنَاهُ وَلَا تَسْمَعُ صَوْتَهُ أذُنَاهُ وَلَا
يَرْتَجِفُ قَلْبُهُ رَهْبَةً وَفَرَحًا عِنْدَ لُقْيَاهَا !..

إِنِّهَا مُعَانَاةٌ مِنْ نَوْعِ آخَرَ أَكْثَرَ إِيْلَامًا بِالنِّسْبَةِ لَهُ مِنْ
الِاضْطِهَادِ فِي مَكَّةَ ، أَوْ مِنْ فِرَاقِ الْأَهْلِ وَالِدَارِ وَالْأَصْحَابِ .
وَلَكِنَّ جَعْفَرَ كَانَ يَتَفَوَّقُ عَلَى نَفْسِهِ دَوْمًا مُسْتَمِدًّا قُوَّتَهُ
وَطَاقَتَهُ مِنْ عَمَقِ إِيْمَانِهِ وَتَسْلِيمِهِ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدْرِهِ ، فَإِذَا هُوَ



يتقبَّلُ حياتَهُ الجديدةَ بنفسِ رَاضِيَةٍ ، ويعتبرها جزءًا من
جِهَادِهِ فِي سَبِيلِ الدَّعْوَةِ.. ولعلَّ بدايةَ جِهَادِهِ هَذَا، كَانَ فِي
تلكَ المواجهَةِ السَّاخنةِ الَّتِي تَمَّتْ بَيْنَ جَمْعِ مُسْلِمِي الهِجْرَةِ فِي
الحبشةِ وَمَبْعوثِي قَرِيشِ ، عبدِ اللهِ بنِ أَبِي ربيعةِ و عمرو بنِ
العاصِ وَمَا كَانَا قَدْ أَسْلَمَا بَعْدَ وَهْمَا يَحَاوِلَانِ إقْنَاعَ النجاشيِّ
مَلِكِ الحبشةِ بِإِعَادَةِ المُسْلِمِينَ إِلَى مَكَّةَ وَطَرْدِهِمْ مِنْ بِلَادِهِ .

وَمَا هُمَا مَبْعوثَا قَرِيشِ يَحْمِلَانِ أَنْفُسَ الهِدَايَا وَأَغْلَاهَا إِلَى
النَّجَاشِيِّ وَرَجَالِ الكَنِيسَةِ، فِي مُحَاوَلَةٍ لِلتَوَدُّدِ وَالتَّقَرُّبِ عَسَى
أَنْ يَسْتَطِيعَا العُودَةَ بِمَنْ هَاجَرُوا لِتَمَكَّنَ قَرِيشٌ مِنْهُمْ .

وَانْتَشَرَ الخَيْرُ بَيْنَ صُفُوفِ المُسْلِمِينَ المِهَاجِرِينَ ، فَتَوَجَّسُوا
شَرًّا مِنْ مَكِيدَةٍ جَدِيدَةٍ تَقُومُ بِهَا قَرِيشٌ، وَمَا لَبَثُوا أَنْ تَجَمَّعُوا
لِيَتَدَاوَلُوا فِي الأَمْرِ، وَلِيَتَهَيَّؤُوا لِأَيَّةِ مُفَاجَأَةٍ قَدْ يَتَعَرَّضُونَ لَهَا.
فَمَا كَانَ مِنْ جَعْفَرٍ إِلاَّ أَنْ بَادَرَ بِتَهْدِئَةِ المُسْلِمِينَ وَطَمَأْنَتِهِمْ
بِأَنَّ لَدَيْهِ مِنَ الحُجَّةِ القَوِيَّةِ مَا يَجْعَلُهُ يَتَصَدَّى لِأَيَّةِ مَواجهَةٍ قَدْ
يَضْطَرُونَ إِلَيْهَا.

وَانسحبَ جَعْفَرٌ وَهُوَ يَفْكُرُ عَمِيقًا فِيمَا سَيَتَعَرَّضُونَ لَهُ، وَيَضَعُ
كُلَّ الاحْتِمَالَاتِ، وَيُبْحَثُ عَنِ الحُجَّةِ المَقْنَعَةِ الَّتِي يَدَافِعُ بِهَا
عَنِ المُسْلِمِينَ.

فِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ كَانَ مَبْعُوثًا قَرِيشٍ يوزَعَانِ الْهَدَايَا وَهُمَا
يُوغِرَانِ صُدُورَ رِجَالِ الْكَنِيسَةِ ضِدَّ الْمُسْلِمِينَ وَكَأَنَّهُمَا
يُوجِهَانِهِمْ نَحْوَ إِقْنَاعِ مَلِيكِهِمْ بِمَا أَرَادَا.
وَاسْتَبَشَرَ الْمَبْعُوثَانِ عِنْدَمَا وَافَقَ النَّجَاشِي عَلَى اسْتِقْبَالِهِمَا
وَحَدَّدَ مَوْعِدَ اللَّقَاءِ.

تَجْمَعُ الْمُسْلِمُونَ مَرَّةً ثَانِيَةً وَهُمْ يَتَشَاوَرُونَ فِيمَا يُمَكِّنُهُمْ
عَمَلُهُ، وَمَنْ الَّذِي سَيُمَثِّلُهُمْ فَيَتَحَدَّثُ بِأَسْمِهِمْ أَمَامَ النَّجَاشِي،
وَبِدُونِ تَرُدُّدٍ وَافِقِ الْجَمِيعِ عَلَى أَنْ يَقُومَ جَعْفَرٌ بِهَذِهِ الْمَهْمَةِ،
فَهُوَ يَتَمَتَّعُ بِالذِّكَاةِ وَالْفِطْنَةِ وَسُرْعَةِ الْبَدِيهَةِ إِضَافَةً إِلَى الْحِكْمَةِ
وَالْإِيمَانِ الْعَمِيقِ، وَصَدْرُهُ عَامِرٌ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ، وَذَاكِرْتُهُ تَخْتَرُنُ
كُلَّ مَا حَفِظَهُ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .

وَهَكَذَا انضَمَّ الْمُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، بَعْدَ أَنْ تَوَجَّهُوا لِلَّهِ
وَصَلُّوا وَاسْتَعَادُوا مَا حَفِظُوهُ فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ،
كُلٌّ مِنْهُمْ يَذْكُرُ الْآخَرَ بِتِلْكَ السُّورِ الْمَكِّيَّةِ الْمَعْجِزَةِ الَّتِي فَجَّرَتْ
فِي أَقْسَى الْقُلُوبِ يَنَابِيعَ الْإِيمَانِ ، دَاعِينَ إِلَى اللَّهِ أَنْ يُوفِّقَهُمْ فِي
دِفَاعِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ أَوَّلًا - وَفِي أَنْ يَفْتَحَ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ عَلَى
غَيْثِ الْإِيمَانِ.

وَجَاءَ يَوْمَ الْمُؤَابَهَةِ ، فَاسْتَعَدَّ الْمُسْلِمُونَ.. أَدَّوْا صَلَاتَهُمْ بِكُلِّ

خُشوع، وَلَبَسُوا أَفْضَلَ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ ثِيَابٍ.. وَتَوَجَّهُوا بِكُلِّ
وَقَارٍ وَهَدَوْهُ إِلَى قَصْرِ النَّجَاشِيِّ. وَهَنَّاكَ جَلَسَ النَّجَاشِيُّ عَلَى
كُرْسِيِّ مُلْكِهِ بَيْنَمَا الْمُسْلِمُونَ قَبَّالَتَهُ، وَبَيْنَهُمْ وَقَفَ الْمُبْعُوثَانِ
وَهُمَا يُوجَّهَانِ مُخْتَلَفِ التُّهْمِ، وَيَدِينَانِ هَجْرَةَ الْمُسْلِمِينَ بِحُجَّةٍ
أَنَّهُمْ لَيْسُوا أَكْثَرَ مِنْ مُتْمَرِدِينَ عَلَى قَوْمِهِمْ وَمَا يَدِينُ بِهِ
آبَاؤُهُمْ وَأَجْدَادُهُمْ. وَلَبَّثُوا عَلَى هَذَا الْحَالِ وَالْمُسْلِمُونَ صَامِتُونَ
يَسْتَمْعُونَ إِلَيْهِمَا إِلَى أَنْ التَفَّتْ نَحْوَهُمُ النَّجَاشِيُّ وَقَالَ:

«مَا هَذَا الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَاسْتَغْنَيْتُمْ بِهِ عَن دِينِنَا؟»
عِنْدَ ذَلِكَ نَهَضَ جَعْفَرٌ مِنْ مَكَانِهِ، وَتَقَدَّمَ مِنَ النَّجَاشِيِّ بِكُلِّ
ثَبَاتٍ وَثِقَةٍ بِالنَّفْسِ، وَوَقَفَ بِاحْتِرَامٍ وَبَدَأَ يَتَحَدَّثُ بِصَوْتٍ عَمِيقٍ
عَنِ الْقَرَارِ، لَا يَشُوْبُهُ الْإِنْفَعَالُ، وَلَا تَسْتَفِزُّهُ نَظَرَاتُ الْغَضَبِ
الَّتِي تَنْغَرِسُ فِي وَجْهِ الْمُسْلِمِينَ.

ثَبَّتَ جَعْفَرٌ نَظْرَهُ نَحْوَ النَّجَاشِيِّ، وَكَأَنَّهُ لَا يَشْعُرُ بِمَنْ
يَحِيطُونَ بِهِ وَقَالَ: «يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ.. كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ
نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ،
وَنُسِيءُ الْجَوَارِ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ
إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا
إِلَى اللَّهِ لِنُوحِدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ

الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ،
 وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم وسفك
 الدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ،
 وقذف المحصنات ، فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما أمره
 به ربُّه ، فعبدنا الله وحده ولمْ نشرك به شيئاً ، وحرّمنا ما حرّم
 علينا ، وأحللنا ما أحلّ لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا وفتنونا
 عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان وإلى ما كنا عليه من
 الخباثتِ.. فلما قهرونا ، وظلمونا ، وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا
 وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، ورجعنا في جوارك ، ورجونا
 ألاّ نُظلمَ عندك».

أطرق الملك برأسه بعدما أنصت باهتمام لكل كلمة نطق
 بها جعفر.. وساد الصمت. نظر المسلمون بعضهم إلى بعض
 بترقب وقلوب خافقة.. ترى ما هو ردُّ الفعل على ما قاله
 جعفر.. ولماذا بصمت الملك وبالتالي مستشاروه وأعدائه؟..

وفجأة التفت النجاشي إلى جعفر وسأل:

«هل معك مما أنزل على رسولكم شيء؟»

أجاب جعفر:

أجل أيها الملك.

فَقَالَ النجاشي:

- فاقرأه علىّ إِذْنًا.

وقفَ جعفرُ بخشوعٍ مُطَرِّقًا برأسِهِ وقالَ بصوتٍ عَذْبٍ:

- «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»..

وأخذَ يَتْلُو آيَاتِ مَنْ سُوْرَةِ مَرْيَمَ، وَالْمُسْلِمُونَ جَمِيعُهُمْ يُنْصِتُونَ
بِمَهَابَةٍ وَجَلَالٍ إِلَى ذَلِكَ الْأَدَاءِ الْمُمِيزِ الَّذِي يَنْبَغُ مِنْ قَلْبِ جَعْفَرٍ
بِكُلِّ الصِّدْقِ وَالْإِيمَانِ، وَمَا إِنْ وَصَلَ جَعْفَرٌ إِلَى قَوْلِهِ «صَدَقَ اللَّهُ
الْعَظِيمُ»، وَرَفَعَ رَأْسَهُ نَحْوَ النجاشي حَتَّى رَأَى الدَّمْعَ تَنْهَمُرُ
بِغِزَارَةٍ مِنْ عَيْنَيْهِ، وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ نِظْرَاتٍ مِلْؤُهَا العَاطِفَةُ
وَالْحَنَانُ، وَمَا لَبِثَ أَنْ التَفَتَ إِلَى مَبْعُوثِي قَرِيشٍ، وَقَالَ:
«إِنْ هَذَا، وَالَّذِي جَاءَ بِهِ عَيْسَى، لِيُخْرِجَ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةً.
انْطَلِقَا فَلَا وَاللَّهِ لَا أُسَلِّمُهُمَ إِلَيْكُمَا».

وَمَا أَنْ سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ حَتَّى انْفَرَجَتْ
أَسَارِيرُهُمْ، وَأَخَذَ يُعَانِقُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَرِحًا بِفَوْزِهِمْ عَلَى مَنْ
عَادَاهُمْ.

انصرفتِ المبعوثانِ خائبينِ، وقلبهما يفيضُ بالغِظِ والغضبِ
لهزيمتهما.. ولم يستطيعا النومَ في تلكَ اللَّيلةِ، بل جلسا
يخططانِ لمكيدةٍ جديدةٍ، ربّما أنقذا بها ماءَ وجهيهما أمامَ

النجاشي وأمام قومهما، وإذا بفكرة خبيثة تخطر على بال عمرو فيقول لصاحبه :

لأرجعن للنجاشي غدا، ولأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد كبقية العباد.

وبالفعل عاد المبعوثان إلى النجاشي، وقال له عمرو:

- أيها الملك إنهم ليقولون في عيسى قولا عظيما..

نظر النجاشي بانزعاج إلى المبعوثين، وقد اضطرب رجال الكنيسة من حوله لما سمعوه، فطلب إليهم أن يعودوا إليه بالمسلمين ليتحقق بنفسه مما يقال عنهم.

ولما علم المسلمون بالمكيدة الجديدة اضطربوا هم أيضا، ورجفت قلوبهم خوفا، فإن هم قالوا إن عيسى بن مريم هو عبد الله ورسوله، غضب منهم الملك ورجال الكنيسة، وفازت قريش بعودتهم إلى مكة.. وإن هم لم يقولوا ما ذكر في القرآن الكريم خرجوا عن دينهم دين الحق والإسلام.

ولم يطل تشاورهم فيما بينهم بل حسم الأمر فورا، وصدق الجميع بصوت واحد يقول: لن نقول إلا الحق وما جاء في كتاب الله .

ولما وقف جعفر من جديد بين يدي النجاشي وهو يسأله:



﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ

إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾

وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ

هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾

طَبَقَةُ الْعَظِيمِ

سورة مريم

من الآية

(٣٦ - ٣٥)



مَاذَا تَقُولُونَ فِي عَيْسَى؟

ارتفع صوته قويا بقوة الحق وهو يجيب :

نقول فيه ما جاءنا به نبينا ﷺ : هو عبد الله ورسوله، وكلمته
ألقاها إلى مريم ، وروح منه.

فما كان من النجاشي إلا أن رفع صوته وقال: إِنَّ هَذَا هُوَ مَا
قَالَ الْمَسِيحُ عَنْ نَفْسِهِ، ثُمَّ وَقَفَ فِي مَكَانِهِ وَقَالَ:
- اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ آمِنُونَ فِي أَرْضِي.. وَمَنْ سَبَّكُمْ أَوْ آذَاكُمْ فَعَلَيْهِ
عُزْمٌ مَّا يَفْعَلُ.

وَمَا لَبِثَ أَنْ التَفَتَ نَحْوَ الْمَبْعُوثَيْنِ سَاخِطًا ، وَهُوَ يُشِيرُ
إِلَيْهِمَا بِنُفُورٍ وَيَقُولُ:

- رُدُّوا عَلَيَّ هُدَايَاهُمَا، فَلَا حَاجَةَ لِي بِهِمَا..

فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ الرِّشْوَةِ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي، فَأَخَذُ
الرِّشْوَةَ فِيهِ..!!

وأشرق وجه جعفر بزهو النصر على من عادى الإسلام ،
فقد وفقه الله وألهمه ليقول ما قاله، وتطلعت العيون بإعجاب
شديد إليه، وقد اكتسب الثقة العالية والمكانة الرفيعة بين
صحبه وأقرانه.

وهكذا فشلت خطة قريش في استعادة مسلمي الحبشة،

وَعَاشَ جَعْفَرٌ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي أَرْضِ النَّجَاشِيِّ
مُطْمَئِنِّينَ آمِنِينَ، لَا يُعَكِّرُ صَفْوَهُمْ شَيْءٌ وَلَا يَضْطَهُدُهُمْ أَحَدٌ.
وَاسْتَمَرَ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا عِدَدًا مِنَ السِّنِينَ رُزِقَ خِلَالَهَا جَعْفَرٌ
وَأَسْمَاءُ بِأَوْلَادِهِمَا الثَّلَاثَةَ: مُحَمَّدٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَعُوفٌ.

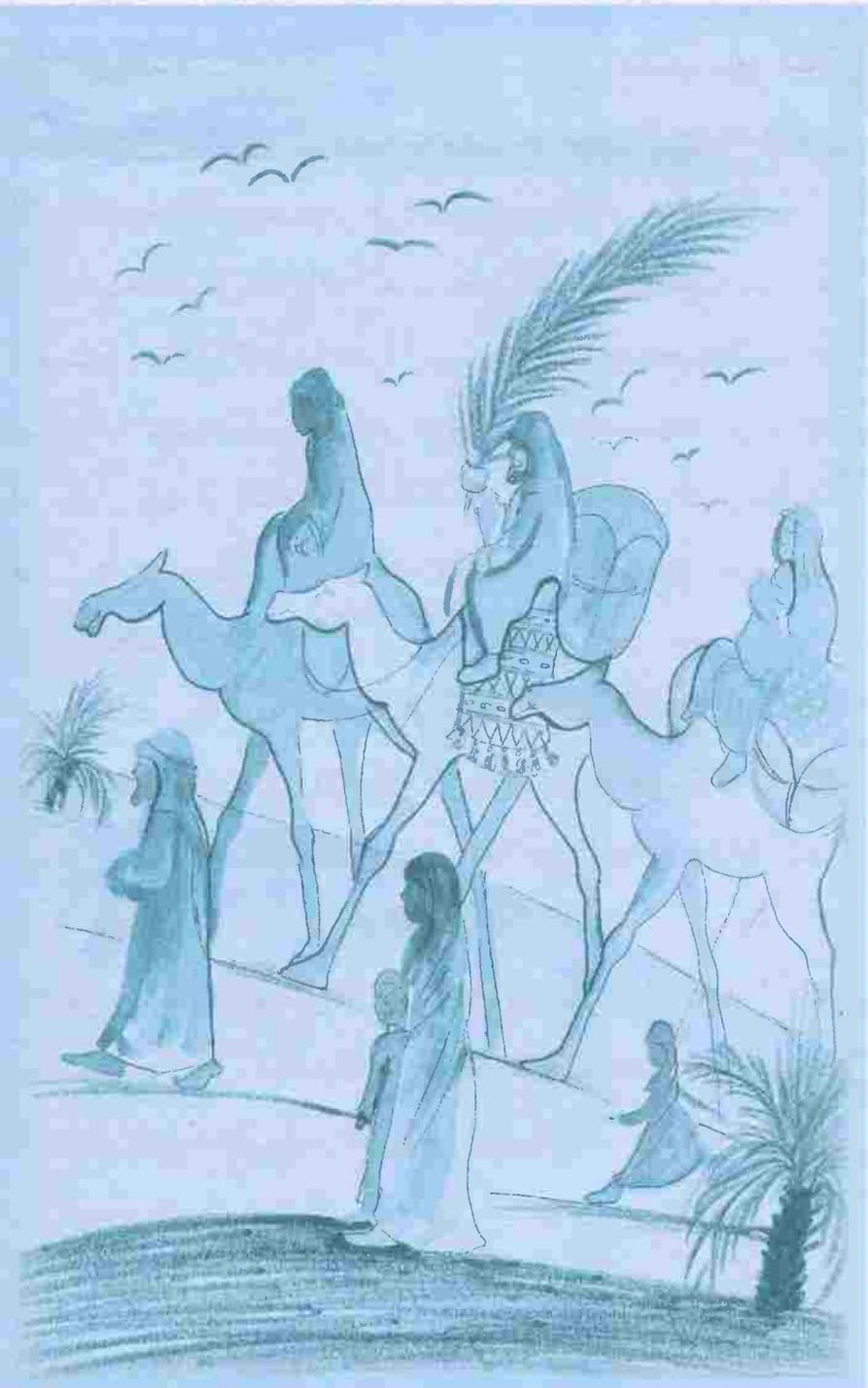
لَكِنَّ الْغُرْبَةَ، وَفِرَاقَ الْأَهْلِ وَالْأَحْبَابِ، وَالْحَنِينَ إِلَى الدِّيَارِ
وَالْبَعْدَ عَنِ أَنْسَامِ الْإِسْلَامِ الَّتِي تَعْطُرُ الْقُلُوبَ.. كُلُّ هَذَا وَغَيْرِهِ
كَانَ، إِنْ لَمْ يُعَكِّرْ صَفْوَةَ الْحَيَاةِ فَهُوَ يَمَلَأُ النَّفْسَ بِالْحُزَنِ
وَالْأَسَى. وَمَا أَكْثَرَ التَّلَهْفَ إِلَى سَمَاعِ أَيِّ خَبِيرٍ، أَوْ تَتَبِعِ أَيِّ أَثَرٍ،
لِمَسَافِرٍ يَحْمِلُ مَعَهُ أَبْنَاءَ الدَّعْوَةِ، وَمَدَى انْتِشَارِهَا وَانْتِصَارِ
الْمُسْلِمِينَ خَاصَّةً وَأَنَّ غَزَوَاتٍ عِدَّةً كَمَا يَقُولُ الرَّوَاةُ، قَدْ حَصَلَتْ
أَثْنَاءَ غِيَابِهِمْ هَذِهِ السِّنِينَ، إِضَافَةً إِلَى تَحْرِقِ هَوْلَاءِ الشُّبَّانِ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْمَشَارِكَةِ فِي تِلْكَ الْغَزَوَاتِ لَعَلَّ فِيهَا إِنْ لَمْ تَكُنْ
نَشْوَةَ النِّصْرِ فَهِيَ الشَّهَادَةُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وَكَمَا شَاءَ اللَّهُ لَهُمْ بِالْهَجْرَةِ فَقَدْ أُذِنَ لَهُمُ الْآنَ بِالْعُودَةِ، وَهَذَا
هُوَ الرَّسُولُ يُبَلِّغُهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى دِيَارِهِمْ، فَهَلَّلُوا وَاسْتَبَشَرُوا،
وَكَأَنَّ جَعْفَرَ يَطِيرُ فَرِحًا فَقَدْ بَلَغَ شَوْقَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حُدًّا
عَظِيمًا وَهَذَا قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى بَاقِي الْمُسْلِمِينَ بِالْعُودَةِ وَلَمْ
يَشْمَلِ مِنْ جَدِيدٍ.

وخرج المسلمون من أرض الحبشة وجعفر في مقدمتهم،
والأمل يملأ صدورهم ، والفرحة تغمر قلوبهم، ولم يعد أحد
منهم - لا كبيرهم ولا صغيرهم - يحسب حساباً للتعب أو
يشعر بمشاق السفر في تلك الصحراء القاسية، وما همم
سوى العودة فإذا بقافلتهم تسير سريعة خفيفة تقطع المسافات
والقفار ويظللها غمام من الرحمة، وتحفزها لهفة اللقاء بمن
فارقوهم منذ سنين في مكة.

وما أن بلغت قافلة المسلمين الديار حتى أطل وجه جعفر
من بين الوجوه، وعيناه تبحث عن حبيب طال شوقه إليه. وما
أن رأى رسول الله حتى ألقى بنفسه نحوه يعانقه غير مُصدق،
وَدُموع الفرح تنهمر على خديه، وما لبث أن رفع يديه يحمداً
الله، ويشكره أن رده إلى حضن الدعوة المباركة، فقال الرسول
عليه الصلاة والسلام مرحباً بعودة جعفر: «لا أدري بأيهما أنا
أسرُّ بفتح خبير أم بقدوم جعفر».

وكان المسلمون آنذاك يحتفلون بنصر له معان كثيرة وهو
فتح خبير، فهو ليس معركة فحسب فيها المنتصر والمنهزم،
لكنها فتح من نوع آخر هو إعلاء للعقيدة الإسلامية، فوق
الباطيل والضلالات، التي شابت الديانة السماوية السابقة



أَيُّ الْيَهُودِيَّةِ فَحَرَفْتَهَا عَنْ مَسَارِهَا الصَّحِيحِ، وَخَلَقْتَ مِنْهَا عِدَاءً شَدِيدًا لِأَحْمَادِ شُعْلَةِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ أَمْرٌ خَطِيرٌ فِي ذَلِكَ الْحِينِ لِأَنَّ الدَّعْوَةَ كَانَتْ لَا تَزَالُ فِي بَدَايَاتِهَا.

وَتَوَالَتْ أَخْبَارُ غَزَوَاتِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَسَامِعِ جَعْفَرٍ وَهُوَ يَنْصِتُ وَيَفَكِّرُ، كَيْفَ أَنْ قَدَرَهُ أَبْعَدَهُ عَنْ تِلْكَ الْمَوَاقِعِ الْعَظِيمَةِ فِي بَدْرِ وَأَحُدٍ وَغَيْرِهِمَا، وَحَتَّى عَنْ فَتْحِ خَيْبَرَ فَلَمْ يَشْهَدْ بَلْ شَهِدَ الْإِحْتِفَالَ بِنَصْرِهِ، وَتَذَكَّرَ رِفَاقًا لَهُ وَإِخْوَةً فِي الدِّينِ فَعَلِمَ أَنَّهُمْ قَدْ قَضَوْا نَحْبَهُمْ شُهَدَاءَ أَبْرَارًا فِي تِلْكَ الْمَعَارِكِ لِيَكُونُوا أَوْلَ شُهَدَاءِ فِي الْإِسْلَامِ .

وَعَادَتْ عَيْنَا جَعْفَرَ تَمْتَلِيٌّ بِالدَّمْعِ ، وَلَكِنَّهَا هَذِهِ الْمَرَّةَ مُخْتَلِفَةٌ.. فَهَلْ هِيَ دَمْعُ الْحَسْرَةِ عَلَى فِرَاقٍ مَنْ كَانُوا مِنَ الْأَهْلِ وَالْأَصْحَابِ ؟! أَمْ أَنَّهُ دَمْعُ الْفَرَحِ بِالشَّهَادَةِ ، أَمْ أَنَّهُ التَّوَقُّ الَّذِي اشْتَعَلَ فِي نَفْسِ جَعْفَرَ لِيَنْضَمَّ إِلَى قَافِلَةِ هَؤُلَاءِ الشُّهَدَاءِ الْأَبْرَارِ؟

وظَلَّ هَاجِسُ الْجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ يَلَازِمُ جَعْفَرَ طِيلَةَ الْأَيَّامِ التَّالِيَةِ، فَمَا مَضَى يَوْمٌ إِلَّا وَاسْتَزَادَ فِيهِ مِنْ قُوَّةِ الْإِيمَانِ، وَمِنْ قُوَّةِ السَّيْفِ الَّذِي سِيرْتَفَعُ عَالِيًا بِاسْمِ الْحَقِّ فِي وَجْهِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ.

وَجَاءَ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْعَظِيمَ الَّذِي - لَطَالَمَا - حَلَّمَ بِهِ جَعْفَرٌ.. إِنَّهَا غَزْوَةٌ (مُؤْتَه) إِحْدَى وَأَكْبَرُ الْمَعَارِكِ الَّتِي خَاضَهَا الْمُسْلِمُونَ وَأَوْلَى حُرُوبِهِمْ مَعَ إِمْبْرَاطُورِيَّةِ الرُّومِ، تِلْكَ الْإِمْبْرَاطُورِيَّةِ الْأَقْوَى عَتَادًا

والأكثر جيوشاً.

لقد شَعَرَ الرومُ بالخطرِ من اتساعِ رُقعةِ دينِ الإسلامِ ، لاسِيَّما وأنهم يبسطونَ هَيْمَتَهُمْ عَلَى بلادِ الشَّامِ ، وهى الأَقْرَبُ جُغْرَافِيًّا إلى حدودِ انتِشَارِ هذا الدينِ الجَدِيدِ ، ممَّا يَزِيدُ الأُمُورَ سُوءًا بالنسبةِ لَهُمْ ، فَأَخَذَتْ مُنَاوَشَاتُهُمْ تَقْتَرِبُ من حدودِ الجزيرةِ العَرَبِيَّةِ بهدفِ إرهابِ المُسلمينَ والتعدُّى عَلَيْهِمْ.

وَتَصَدَّى المُسلمونَ لَهُمْ وقد أدركَ الرسولُ ﷺ جيداً أبعادَ مَا يهدفُ إليه الرومُ ، فقررَ المواجهةَ مَعَهُمْ.

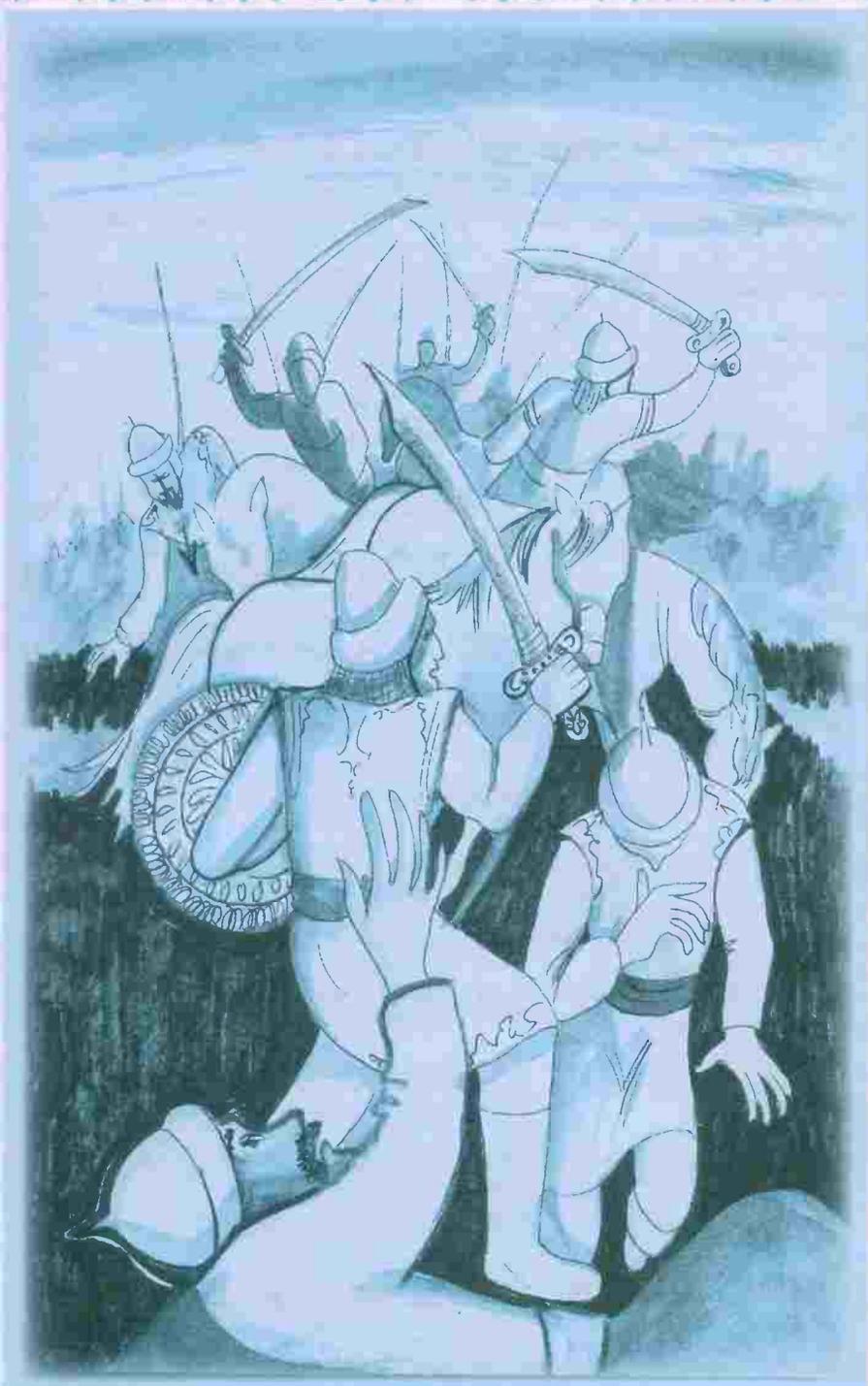
وتوجَّهَ جعفرُ إلى رسولِ الله ﷺ يطلبُ إليه - مُتوسلاً - أن يُؤَلِّيه مَوْقِعًا فى تلكَ الغزوةِ وَشِيكَةِ الوُقُوعِ ، فلم يخذلهُ الرسولُ ﷺ وولاهُ إمارةَ الجيشِ مِنْ بَعْدِ زَيْدِ بنِ حَارِثَةَ الَّذِي هو الأَمِيرُ الأَوَّلُ للجيشِ . وَعَلَا صَوْتُ جعفرِ يَشْكُرُ اللهَ عِنْدَمَا سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ : «عَلَيْكُمْ زَيْدُ بنِ حَارِثَةَ ، فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ بنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرُ فَعَبْدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ» . الحمدُ لله الَّذِي استجابَ لِدَعَاةِ قَلْبِهِ ، بَأَنْ يَهَبَ لَهُ شَرَفَ الجهادِ فى سَبِيلِ رَفْعِ رَايَةِ الإسلامِ .

وفى جمادى الأولى من العام الثامن للهجرة دَقَّتْ طبولُ الحربِ ، واحتشدتْ جيوشُ الرومِ بزعامَةِ (هَرَقْل) فى أرضِ المشارفِ من بلادِ الشَّامِ ، بينما نزلَ جيشُ المُسلمينَ فى بلدةِ اسمها (مُؤْتَه).

وَجَاءتِ اللَّحْظَةُ الْحَاسِمَةُ وَالتَّقَى الْجَيْشَانِ ، نَفَرَ قَلِيلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ،
مُقَابِلَ مَائَتِي أَلْفِ جُنْدِيٍّ مِنَ الرُّومِ بِكَامِلِ عِتَادِهِمْ وَأَسْلِحَتِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ .
وَقَفَ جَعْفَرٌ مَعَ زَيْدٍ وَعَبْدِ اللَّهِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى هَوْلِ مَا سَيَكُونُ
مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ ، وَإِذَا بَنُفُوسُهُمْ وَنَفُوسُ بَاقِي الْمُسْلِمِينَ
تَشْتَعَلُ بِإِيْمَانٍ لَا حُدُودَ لَهُ .. وَإِذَا بِالْقُوَّةِ يَسْكُبُهَا اللَّهُ فِي أَوْصَالِهِمْ
فَيَرْتَفِعُ الصَّوْتُ مُنَادِيًا «اللَّهُ أَكْبَرُ» .. وَيَنْطَلِقُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَحْمِلُ
الرَّايَةَ وَمِنْ وَرَائِهِ جَعْفَرٌ وَعَبْدُ اللَّهِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

انْطَلِقْ إِذْنِ يَا جَعْفَرُ .. أَيُّهَا الْفَارِسُ الشُّجَاعُ .. انْطَلِقْ بِقُوَّةٍ مَا
تَحْمِلُهُ فِي قَلْبِكَ مِنْ نُورٍ وَإِيْمَانٍ .. إِنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي طَالَ شَوْقُكَ
إِلَيْهِ .. إِنَّهُ حَلَمُكَ بِالنَّصْرِ أَوْلَى وَالشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِهِ .. قَاتِلْ كَمَا
لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ كَيْفَ يَكُونُ الْقِتَالُ .. وَأَظْهَرِ بَسَالَتَكَ كَمَا لَمْ يَرَ
الرُّومُ مِنْ قَبْلِ .

وَفِي غَمْرَةِ الْمَعْرَكَةِ ، وَجَعْفَرٌ يَصُدُّ الضَّرْبَاتِ الَّتِي تَأْتِيهِ مِنْ كُلِّ اتِّجَاهٍ ،
لَا يَنْسَى أَنْ تَتَلَقَّ عَيْنَاهُ بِالرَّايَةِ فِي يَدِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ .
وَفَجْأَةً وَقَدْ اخْتَلَطَتْ مَشَاهِدُ الْمَعْرَكَةِ وَصُورُهَا مَعَ صِيْحَاتِ الْجِهَادِ ،
تَنْهَاوِي الرَّايَةَ وَلَا تَكَادُ تَقَعُ حَتَّى تَرْتَفِعَ بِهَا عَالِيًا يَدُ جَعْفَرٍ .. لَقَدْ
فَارَقَتِ الرُّوحُ جَسَدَ زَيْدٍ فَقَدْ فَازَ بِالشَّهَادَةِ .. تَرَى هَلْ هُوَ دَوْرُكَ الْآنَ
يَا جَعْفَرُ؟ .. هَلْ كَانَ الرَّسُولُ يَعْلَمُ أَنَّكَ سَتَقْضِي مِنْ بَعْدِ زَيْدٍ؟! لِنُقَاتِلْ
أَكْثَرَ يَا جَعْفَرُ وَالرَّايَةَ مَرْفُوعَةً بِيَدِكَ .



واقْتَحَمَ جَعْفَرٌ بَاقِيَ صَفُوفِ الرُّومِ ، فَمَا أَفْلَتَ أَحَدٌ مِنْهُمْ مِنْ ضَرْبَةِ سَيْفِهِ ، حَتَّى بَدَأَ وَسَطُهُمْ كَأَسَدٍ جَسُورٍ يَهَابُهُ الْجَمِيعُ وَلَا يَهَابُ هُوَ أَحَدًا ، وَلَفَتَ أَنْظَارَ الرُّومِ بِبِرَاعَتِهِ فِي الْقِتَالِ ، وَسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ ، وَجُرْأَتِهِ وَإِقْدَامِهِ ، وَكَأَنَّهُ يَسْعَى إِلَى الْمَوْتِ سَعْيًا ، فَمَا كَانَ مِنْ نَظَرَاتِ الْغَدْرِ مِنْ حَوْلِهِ ، إِلَّا أَنْ تَلَاَقَتْ فَأَحَاطَتْ بِهِ شِرْذِمَةٌ مِنْ فُرْسَانَ الرُّومِ وَحَاصَرْتَهُ . وَرَاحَ يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا ، وَلَكِنَّ سَيْفَ الْغَدْرِ أَيْضًا كَانَ أَسْرَعَ فَضْرَبَ يَمِينَهُ الَّتِي تَحْمِلُ الرَّايَةَ فَتَلَقَاهَا بِشِمَالِهِ ، وَضْرَبَتْ شِمَالَهُ أَيْضًا فَتَلَقَى الرَّايَةَ بِصَدْرِهِ وَاحْتَضَنَهَا بَعْضُهَا . وَلَمْ يَكُنْ لِيَشْعُرَ بِأَلَمِهِ أَوْ بِدِمَائِهِ النَّازِفَةِ ، بَلْ كَانَ يَخْشَى أَنْ تَلَامَسَ رَايَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْأَرْضَ أَوْ التَّرَابَ ، وَرَاحَ يِنَاضِلُ بِكُلِّ قَطْرَةٍ مِنْ رُوحِهِ وَمَا بَقِيَ لَدَيْهِ مِنْ قُوَّةٍ حَتَّى يَظُلَّ مُحْتَضِنًا لِلرَّايَةِ ، وَهُوَ يَدْعُو اللَّهَ أَلَّا يَخْذُلَهُ فَلَا تَقَعُ مِنْهُ أَوْ تُفَارِقَ رُوحَهُ الْجَسَدَ قَبْلَ أَنْ تَتَسَلَّمَهَا مِنْهُ يَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ ، أَوْ أَيٍّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمَجَاهِدِينَ .

وَمَا هِيَ إِلَّا لِحَظَاتٍ حَتَّى كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ يَنْدَفِعُ مِنْ بَيْنِ الْجَمُوعِ ، فَوْقَ جَوَادِهِ كَالْبَرْقِ بِاتِّجَاهِ جَعْفَرٍ ، فَانْتَزَعَ مِنْهُ الرَّايَةَ وَتَابَعَ قِتَالَهُ .

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ تَهَاوَى الْجَسَدُ الطَّاهِرُ إِلَى الْأَرْضِ وَقَدْ غَطَّتْهُ الدَّمَاءُ فَغَابَتْ عَنْ سَمْعِهِ كُلِّ الْأَصْوَاتِ مِنْ حَوْلِهِ ، وَاحْتَفَتُ مِنْ أَمَامِ

عَيْنِهِ كُلَّ مَشَاهِدِ الْقِتَالِ، وَانْفِرَجَ الثَّغْرُ وَتَهَلَّلَ الْوَجْهُ بِابْتِسَامَةٍ رِضًا عَمِيقٍ . إِنَّهَا اسْتِرَاحَةُ الْمَحَارِبِ الْأَخِيرَةِ.. وَخَرَجَ صَوْتُهُ ضَعِيفًا يَنْطِقُ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . وَهَكَذَا تَحَقَّقَتِ الشَّهَادَةُ لِجَعْفَرٍ، وَجَسَدُهُ يَحْمَلُ بَضْعًا وَتَسْعِينَ ضَرْبَةً سَيْفٍ، وَطَعْنَةَ رُمَحٍ .

إِنَّهُ رَجُلٌ عَظِيمٌ مِنْ رِجَالِ الْإِسْلَامِ، بَكَاهُ الرَّسُولُ وَقَالَ ﷺ : «لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي الْجَنَّةِ لَهُ جَنَاحَانِ مُضْرَبَانِ بِالْدمَاءِ مَضْبُوعُ الْقَوَادِمِ» . لَكِنَّهَا أَجْنِحَةُ النُّورِ الَّتِي ارْتَفَعَتْ بِهِ إِلَى جَنَّاتِ الْخُلْدِ لِيَسْعَى فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ رَاضِيًا مَرْضِيًّا، فَقَدْ عَادَتِ النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ إِلَى رَبِّهَا :



﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾
فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَاَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾

سورة الفجر من الآية (٢٧ - ٣٠)

مَلَكُوتِ الْعَظِيمِ

وَرَضَعَ التَّارِيخُ الْإِسْلَامِي صَفْحَاتَهُ بِاسْمِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مُضَافًا إِلَيْهِ صِفَةَ الضِّيَاءِ وَالتَّوَرِّ وَهِيَ جَعْفَرُ الطَّيَّارِ، مُذْكَرًا الْمُسْلِمِينَ بِتِلْكَ الْمَأْتَرَةِ الْعَظِيمَةِ، وَبِتِلْكَ الرُّوحِ الطَّاهِرَةِ الْخَالِدَةِ.

محمد رسول الله

لا إله إلا الله



الصحابة

يسعد دار المعارف أن تقدم للشباب والناشئة ، هذه المجموعة الشائقة عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الذين قال عنهم : « أصحابي كالنجوم .. بأيهم اقتديتم .. اهتديتم » .
مجموعة تحث الشباب والناشئة على القيم الفاضلة والأخلاق النبيلة والقدوة الحسنة .

صدر منها :

- ١- أبو عبيدة بن الجراح .
- ٢- أبو حذيفة بن عتبة .
- ٣- الزبير بن العوام .
- ٤- زيد بن حارثة .
- ٥- عبد الله بن رواحة .
- ٦- عبد الله بن مسعود .
- ٧- أبو ذر الغفاري .
- ٨- عثمان بن عفان .
- ٩- البراء بن مالك .
- ١٠- سعيد بن زيد .
- ١١- جعفر بن أبي طالب .

